# (مِحوَرٌ مائِل)

**ـ شوقي مسلماني.**

\\

حركةٌ تورِّثُ حركةً
وشساعةٌ تورِّثُ شساعة.

\\

يكرُّ، يفرّ،
يعمل، يعلم،
ينحدر
ويفقد أكثر.

**

أطوارٌ لكلِّ فصلٍ مِنَ الفصولِ الأربعة،
طوْرُ الشتاء الريّ، طور الربيع الخضرة،
طور الصيف الكرَم، وطور الخريف التيه.

**

يحلم، لا يحلم،
يقف ولا يقف.

**

الحدود
ليس لها حدود.

الجَمال
أن يُفسِح قلبٌ أمام قلب.

القلبُ،
شساعة فيها نخيل،
أكاسيا، كينا.

الجَمال
روح تمسّها روح.

**

في كلّ اتّجاه عابر سبيل،
قاطع طريق أو مصلح اجتماعي.

**

قلِق،

ومِنَ الكلّ فيه:

فلامنكو، نورس،

وحيد القرن، ابن آوى،

دينغو،

أسدُ البحر، فيلُ البحر،

حصانُ البحر، قنفذُ البحر،

نملُ اللهب ونملٌ أبيض.

**

مقارنة

بينه وبين القمر:

كلاهما لطيف، ومنير،

بينه وبين النجمة:

هي بعيدة وهو بعيد،

بينه وبين البرق والرعد:

مثلهما يشرقط ويهدر،

بينه وبين التمساح:

معاً يشقِّفان الضحيّة.

أذهله الشبه
في التقاسيم الداخليّة.

**

يأتي صوتُه مِنَ البعيد،
يأتي صوتُه مِنَ القريب،
مِنَ الحركةِ الظاهرة
والحركةِ الباطنة،
لا يأتي صوته مِنْ الفراغ.

يأتي صوته منَ الإحتراس،
مِنْ مستوصفات ومستشفيات،
مِنْ ببّغاء ينطق،
مِنْ جزيرةٍ في عرض البحر
يستريحُ فيها طائر الألباتروس.

**

بعضُه يقبل مشرِقاً،
وبعضه يُقبل آفلاً ـ معتماً.

بعضُه وحده،

على مسافة مئات ملايين الأميال
مِن كوكب الأرض،
يصطاد بقصبةٍ مِنْ ضوء
تنهيدةً
في نهرٍ يابس.

بعضه عند قمّة جبل،
ولكي يطلعَ الفجرُ مطمئنّاً
يقف شامخاً
كتمثال.

بعضُه
اختنق صوتُه،
امّحى أثره،
وها هو منه بعدُ
فقط حجر.

**

لا نهضة
ولا مَنْ ينهضون،
ولا عِلم

ولا مَنْ يعلمون.

مدارس كلاسيكيّة،
مدارس حداثويّة،
مدارس ما بعد حداثويّة،
وجميعها لا تفتح نافذة
في مدرسة خبْط عشوائيّة واحدة.

هل يروق
ألاّ يكفّ الدجاجُ عن نقدِنا؟
أن ينكسرَ الموجُ
وكلّ قصد البحر أن يصيبنا بالرذاذ
لكي يغسلنا
علّه يزيل بعض الأدران عنّا
كما يقول بالهدير والزئير؟
هل يروق
أن تكركرَ العصافيرُ بالزقزقة
والأنهرُ والسواقي بالخرير
والأشجارُ بالحفيف
والأبقارُ بالخوار والأغنامُ بالثغاء
والحميرُ بالنهيق والخيولُ بالصهيل

والذئابُ بالعواء والكلابُ بالنباح
والأفاعي بالفحيح
ضحكاً منّا وعلينا؟
هل يروق
ألاّ تكفّ الضفادع عنِ النقيق
لكي تحرمنا النومَ الهانئَ العميق؟
هل يروق
أن نغدو لقمة سائغة
يعلكُها الأسد أو الفهد، أو النمِر، أو الضبع،
أو ابن آوى، أو ابن عُرس أو كلّ ابن عَرص؟
هل يرضيكم
أن تجترَّنا الأبقارُ والأغنام
وأن تتهامسَ الفراشاتُ مع الزهورِ
أنّنا أجلاف وعلوج؟..

وأنا في سبيلي،
وتحديداً عند بعض الماء،
حظي بي فيل وقال لي بالنهيم:
"أيّها الحقير،
ألا يوجد في جنسكم دم؟
ألا تسلكون مسلكاً طيّباً؟

ألا تصنعون صنيعاً طيّباً؟
ألا تشربون فراتاً طيّباً؟
أليست فيكم كلمة طيّبة؟
ألا تقلعون عن الخزي والعار
الذي أنتم فيه؟
الكبير والصغير والمقمّط في السرير
ومِنَ القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي
يبلغه خبركم المشين،
والنارُ تأكلهم منكم
مثلما تأكل في الهشيم أو في الهشير.

قلْ لقومِك الأشرار مثلك
إنّي كما نفى أفلاطون قوماً
مِنْ جمهوريّته الفاضلة
يوماً سأنفيكم مِنْ مملكتي".

ولكَشَني بخرطومه
وقذفني في الهواء عالياً.

وقالَ لي غراب،
وهو ذاته الذي أضرمَ النيران

في بيت فقير كان يؤويه:
"أيّها النكِرة
قلْ لأهلك النكرات مثلك
إنّ كلامَ الفيل هو فيلُ الكلام".

لماذا يا قومي
كلّ ذي أنف أو منقار أو خرطوم
يريد أن يدسّ أنفَه
أو منقارَه أو خرطومَه
بشؤونِنا؟.

مرّة،
بعد كدْحي كدْحَ حمير مجتمعة،
ومع غيابِ الشمس،
آويتُ إلى مرقدي لكي أرتاح وأنام،
وإذ خفّاشان ضئيلان، حقيران،
مِنْ جنسِ الخفافيش مصّاصة الدماء،
يهبطان إليّ مِنْ طاقة قريبة مِنَ السقف،
ومِنْ فورِهما يجرحان عقباً لي بمباضع لهما
ويخدّراني موضعيّاً،
ويتناوبان على اللّعق مِنْ دمّي

وشتمِ أبي وأمّي،
ويقول أحدهما للآخر:
"يا لهؤلاء التافهين،
لأكرعنّ مِنْ دمِهم ما حييت".

وبعدما امتلآ،
طارا عبْرَ الطاقة ذاتها إلى شأنيهما،
وأنا طوال الوقت
لم أفعل سوى أن أسمع منهما
وأتعلّم عليهما لغتهما الوطواطيّة،
فأفهم عنّا ماذا يُقال بنا،
ولئن رجعا إليّ سأدوسهما،
سأفعسهما، سأمعسهما، سأهرسهما".

"كيف أغار لِمَنْ لا يغار لي؟
كيف أفرح بِمَنْ لا يفرح بي أو لي؟
وكيف أشتاق للذي لا يشتاق لي؟
**

الحماقةُ فخرُ صناعة
والنباهةُ دونها مناعة.

**

سطْوٌ مسلّح
تمارسه أمم.

**

المفاجأة
أن ينظر إلى نسر
فإذا هو دجاجة،
أن ينظر إلى حمل
فإذا هو ذئب،
أن ينظر إلى أسد
فإذا هو جرذ،
أن ينظر إلى وجهٍ شفّاف
فإذا هو وجه غليظ.

والمفاجأة
أنّه لا يزال يتفاجأ.

**

يا خلف الستارة ماذا تدبّر؟

تدبّر وباء، زلزالاً؟ بركاناً؟.

**

الإزدحام
ليس عفويّاً.

الفقر
ليس عفويّاً.

المؤامرة
ليست عفويّة.

ليس الجوع
ولا العطش.

جُذورٌ
للإضمحلال.

**

المسألة
ليست في محلٍّ آخر،

هي في كيف يفكّر؟
بماذا يحلم؟
ما حجم مسافته بالألم؟.

**

رأسُه
رأسُ عصفور أم رأسُ حيّة؟
رأس نملة أم  صاروخ أم  إبرة؟
رأس ديناصور أم حَمل؟.

**

المسألة
أنَّ الرأس موجود
ولأسباب
هي جزء مِنَ التكوين،
وقد يقول قائل:
للناس شؤون
ولكلٍّ ما يكفيه.

**

في بلادٍ

ظهرُه محني
وفي بلاد
رأسُه مرفوع.

**

الحديث
عن مسألة
حياة أو موت.

**

المتردّدُ
عاقِبتُه وخِيْمة.

**

المسألة
ألاّ نقول "فاتَ الأوان".

**

رأيته في المساحة،
رأيته لا يرى المساحة،
رأيته تحت المساحة، فوق المساحة،

يحرث ويبذر في المساحة،
يرى المساحة الخضراء،
يحبّ ويرى الزهور، الطيور،
ويصغي عندَ المساحة،
رأيتُه الكلّ.

**

"كان نسرُ الجيف،
لمّا أنبأه الهواءُ عمّا في المسافة،
عندَ كتف جبل،
أفردَ جناحيه وطار،
وبعدَ وقت رأى النار السعير
لم تغادر شيئاً إلاّ وقد سوّتْه رماداً،
ظلَّ في السماوات العلى يلفّ ويدور قهراً،
ولحقَ به قومه،
وشرعوا يلفّون ويدورون معه
كأنّما يطيّبون خاطره
لكي يقتنع ويرجع معهم إلى ديرته ووكرِه
ويرتاح قبلَ أن تخور قواه ويسقط ويفكّ رقبتَه.

**

وقرّرَ أخٌ
أن يثأر ممّن أخذوه لحماً
ورموه عظماً،
خرجَ إلى البريّة،
تثاءب وتمطّى
واعتبرَ ذلك تسخيناً
وتدريباً كافيين.

كشّر مثل كلب دوبرمان،
ركض وطار مثل سوبّرمان،
صاح عندَ سحابة عابرة
مثل طرزان حي بن يقظان،
رفسها،
شرقطتْ وزمجرتْ،
وهبطَ وهو يرفس كأنّه في مسّ.

وقعتْ لبطةٌ في أمِّه،
وقعتْ لبطةٌ في أبيه،
وقعتْ لبطةٌ في جدّته،
استعجلتْ وقضتْ،
وقعتْ لبطةٌ في حمل

لا ناقة له بعدُ في الدنيا ولا جمل،
وقعتْ لبطةٌ في حائط
هو كلّ ما تبقّى لعجوز ليس لها معيل،
بعدَ غارة ربطةِ العنق، الشوكة والسكّين،
رفعت يديها إلى السماء،
وتمنّتْ لو تأخذ بخناق القوم الظالمين،
وقعتْ لبطةٌ في بطّيخة،
انفجرتْ وطارتْ شظايا،
واصطبغتْ حجرانٌ
بدمِها الأحمر الوردي،
وكلب في الجوار ينبح:
"ويلك يا حمارَ الحمير،
إنّك تؤذي أهلك المقهورين مثلك"،
ولا من يسمع ولا من يسمعون.

تسلّل التعبُ إلى بدنه
وطلب الراحةَ بظلِّ صخرة.

اشتدّت شمسُ الظهيرة،
شرقط وأضاءت في رأسِه فكرة.

نهض،
زفر وشهق،
مصدِراً صوتاً ولا أنكر،
قولوا هو زمّور خطر.

نادى أشباهه
في الخَلق والخُلق
ليهبّوا إليه،
وهبّوا إليه مِنْ كلّ فجٍّ عميق،
وجلّهم تيوس وأكباش وثيران.

خطب فيهم قائلاً:
"سلاح اللبيط سلاح العبيط،
مثله مثل سلاح العضّ الذي يتباهى به الكلب،
عاملاً نبّاحاً ـ ليلاً ونهاراً ـ بأَجرٍ مقداره عظمة،
وغالباً جرداء لا لحسة لحم عليها،
قرّرتُ أن أفني الأعداء بالضربةِ القاضية".

وحثّهم أن ينتشروا
في طول البلاد وعرضها،
بحثاً عن كلّ جهبذ

بعلوم الغازات
التي تمتلئ بها البطون
لعمل قنبلة لا تبق ولا تذر،
وحثَّهم أخيراً ألاّ يعودوا إليه
وهم قرنٌ مِنْ أمام وقرنٌ مِنْ وراء.

صاحَ تيس:
"بالأمس ساطورٌ منهم قطّع ساعوراً منّا،
الموتُ لهم".

وخرجوا ورجعوا بحزمة مِنَ الجهابذة،
بعضهم صناعة أجنبيّة وبعضهم صناعة وطنيّة،
وقالَ الجهبذُ جحْششْتاين:
"إنّما بشرط أن نمحو العصافير والفراشات والزهور
وحفيف أوراق الشجر وحكايات المطر".

ولا يليق
أن أستفيض.

وفي ختام هذا "الفيلم"
الرائع في مضمونه، في إخراجه،

في موسيقاه التصويريّة
التي أين منها موسيقى فيلم "سايكو"
خصوصاً في مشهد الإستحمام
الذي يُجهِض الحامل البكر
ويصيب بالشيب رأس الوليد،
وحدِّثوا ولا حرج
عنِ المونتاج والإنتاج
والمؤثِّرات الصوتيّة
وغير ذلك
ممّا في صناعة السينما المتقدِّمة.

ونرى بعيداً في الرمل
أبنيةً تنشب فيها النيران على ألوان
منها الأصفر والأخضر والأزرق والنيلي،
ونرى الدخان يتكاثف،
وكاميرا تتحرّك
بين أكداسَ النافقين.

وكأنّما حركة تحت طاولة
وإذْ بطلنا كلّ شيء فيه هامد
سوى بطنه ينخفض ويرتفع ببطئ

كأنّما لا يريد أن يهمد
قبل أن يهضم بعدُ لقمة أخيرة فيه،
أو بسبب مِنْ قوّة عجيبة غريبة
تصرّ أن تظلّ تنبض
في هذا الكونِ العجيبِ، الغريب.

**

البعضُ
تغازله الإمبرياليّة
أعلى مراحل الإنسانيّة!.

**

العقرب
مثله يلدغ.

**

متحرِّك بأسلوبه،
بعقليّته، بغريزته.

**

سماء قاسية

وأرض قاحلة.

**

تلال أكاذيب
وتلال مذهبيّات وخوف.

**

معاكسات،
مشاكسات ومناوشات.

**

شجون
يخطّها المطر
على زجاج النافذة.

**

كلّ خطوة
أثر يطفو ولا يطفو.

**

بعضٌ

يعرف لكنّه لا يصرّ

وبعض

ناطق ولكنّه لا يقول.

**

يهتمّ، لا يهتمّ،

يسعى، لا يسعى،

ذو خناجر، ذو أساسات،

يُدافع ويُزاحم على التبن والأتن،

يُوهَب، يُسلَب، يَقدر، يَحتمِل،

قفزات تأمل أكثر ممّا تعمل

وتُدمِّر أكثر ممّا تُعمِّر،

تُفسِحُ القلّةُ للكثرة

لتكون ضربة سيف واحدة،

هو وليس هو،

الألم وانكسار الكلّ.

**

يحفر

ليهدّ أساسات

ويجعلها خلفه.

**

ينتشِر
خرافةً في خرافة.

**

كاد
أن يغشى عليه.

**

أكثر الآذان لا ترى،
أكثر العيون لا تسمع،
أكثر المسير لا يصل،
وأكثر النقل بلا عقل.

**

أخيراً قرّرَ أن يفرّ،
يوماً أبداً لم يكن يقرّر،
وفي الوقت المناسب،
ويوماً أبداً
لم يعمل عملاً في الوقت المناسب،

وكأنّ الوقتَ المناسب متواطئ معه
أسرعَ وهمسَ في أذنِ الشمس
عن موبقات تُرتَكَب جهاراً نهاراً
وتسود في الأرض ظلمة القوّة الغاشمة.

الشمس صدّقتْ،
فقد سمعت ورأتْ.

استقرّتْ
في كبدِ السماء،
هبرجتْ
ودلقتْ حمم نيرانها.

لمحَ سيّدَه
يطير إلى دارته
محتمياً منها.

وجاء
الوقت المناسب.

انطلقَ هارباً

لا يدري إلى أين؟.

ظلَّ يعدو بخطٍّ مستقيم
والرياح تعبث بمفرق شعرِه
حتى تيقّن استحالة أن يكون أحد بعد يتبعه.

بلغ أرضاً عندها بئرَ ماء،
هي ناحية بئر السباع الشهيرة،
واسمها مقتبَس من حادث اعتداء أسد مستهتِر
على حمار للبطل الزير سالم أبي ليلى المهلهل
الذي جزر انتقاماً كلّ مَن قال إنه أسد،
وأمسك بالمستهتِر وأوسعه ركلاً ولكماً
حتى سمعه يقول: "اغفر لي أيّها البطل
لن أستهتر بعدَ اليوم أبداً".

ملأَ الزير قرَبَ الماء
وجعلَها على ظهرِ الأسد،
ونهره نحو مضارب العرب
ولسان الحال يقول وأعمار الكرام تطول:
"هذه حال مَن يجني على دابّة
كانت يوماً في حمى العرب".

وأيقن أنَّ الحادث
انقضى منذ قرون وقرون
والزير قضى
وعظامه الآن مكاحل.

قال لذاته:
"ما أدراني أن يكون بعض الأسود
نجا مِنْ تلك المجزرة وبلغَه نبأ وفاة الزير
ورجع إلى الناحية غير هيّاب ليقتل ويسلب"؟.

وفرّتْ قبّرةٌ
كانت في عشٍّ قريبٍ،
أجفل، ومِنْ دون أن يلتفتْ: طار.

وظلَّ يعدو
حتى مَشارف خلاء
ليسَ فيه على امتدادِ النظر
سوى شجرة خضراء.

قصدها،

عندها كائن،
اقتربَ منه أكثر،
هو عين أحد بني جنسه
يقتعد حجراً
مواجهاً جهاز لابتوب
ومستغرِق فيه.

اقترب أكثر
وبحذر أكثر.

حيّاه
بالزفير والشهيق
الذي هو عين النهيق،
لربّما هو مِنَ الجنّ الشرِّير
فيضجّ ويفرّ.

لا ضجّ
ولا فرّ.

وزفر
وشهق.

وسمعَه،
وأعمار الأحبّة تطول،
وهو يقول،
وعيناه لا تزالان على ما هو فيه:
"اقتربْ يا بني،
لا تخفْ، أنا لستُ جنيّاً شرّيراً،
أنا مِنْ بني جلدتك،
وحسناً أنّكَ فررتَ
مِنْ وجه سيّدك،
الذي طالما ضربك وأهانك
بأمِّك وأبيك وعمومِ أهلك،
ولكنْ أكثر ما آذاك
أنّه وحده كان يفوز بالأطايب
كالجوز المقشّر واللّوز الأخضر
والأرُزّ والموز أبي نقطة،
وبالكاد كان يرمي لك الفتات،
حتى بلغَ السيلُ فيك الزبى
يومَ التهم وحده سلّة توت
ولم يلقّمك حبّة توت واحدة".

ودعاه إلى جرعة ماء
من تجويفٍ في جذعِ الشجرة.

شربَ،
دمعتْ عيناه،
قال متضرّعاً:
"ساعدني يا شيخي".

قالَ
مشيراً إلى ناحية:
"انطلق يا بني غرباً،
وستصل بحراً أجاجاً،
ومنه إلى بلاد "جماجم وعظام"،
ومن فورك اقصدْ كلّيّتَها العسكريّة،
وفي آخر السنة الدراسيّة سيكون إمتحان
يُكرم المرء فيه أو يُهان،
وأنتَ وشطارتك بحسب علاماتك:
وسط، جيّد، جيّد جدّاً وممتاز بمرتبة الشرف،
وستنقلب إلى ذئب أو ضبع أو فهد أو أسد".

وتعاكس الشيخ آليّاً

وأشار إلى الجهة المعاكسة

وقال:

"أو انطلقْ يا بني شرقاً،

وبعدَ مسيرة ليست يسيرة وربّما عسيرة

ستشرف على صحراء رمل،

وستصل إلى واحة مخرَّبة،

وستسمع صوتاً يقول لك:

"تأخّرت كثيراً يا أبا صابر"،

وسينبثق جملٌ،

اتبعه حتى يبلغ بك بلاداً هي"الكتكوتيّة"،

ومِنْ فورك التحق بكلّيتها العسكريّة

وأنت وشطارتك

بعدَ الحفظ والحفظ والحفظ،

وقد تنقلب إلى ديك أو أرنب أو غزال أو..".

وقاطعه المريد وقال: "غرباً،

أريد يا شيخي أن أكون آكلاً لا مأكولاً".

وبلغ بلاد "جماجم وعظام"،

والتحق من فوره بكليّتها العسكريّة،

وعمل بالمجّان

نهاراً
ودرس عليهم
ليلاً،
واجتهد بصبرِ حمير مجتمعة،
وحاز مرتبة الشرف.

وفي حفل التخريج
علّقوا على صدره ورقة،
قالوا: مكتوب فيها: "أنا الناب
والناب أنا،
أنا الأسد الرئبال،
أنا قاتل الرجال
ومسبي النساء والأطفال".

حاولَ ذاته
أن يقرأ المكتوب،
قالوا: "لا فائدة،
فالمكتوب ليس بالحبر الأسود الصيني
بل بالحبر الأبيض السرّي".

وهو

في مرقدِه،
متباهياً بحالِه
وبالعزّ الذي بات يرفل به،
خطر له سيّده الطمّاع،
وحدّثَته نفسه
بالإنتقام.

وفجراً
حملَ كلاكيشه
وعبرَ البحرَ الأجاج المتلاطم الأمواج،
وبلغَ بعد شقاء ناحية شيخه،
وتمنّى لو لديه وقت ليمرّ عليه
ويشكره على حسن صنيعه ومشورته
ولكن لا وقت لديه ليضيّعه.

اجتازَ
بئرَ السباع.

وهو عند مشارف موطنه الأوّل،
ويا لحسن حظّه، رآه وجهاً لوجه،
ينظر إليه مندهشاً.

قال:
"حقّك أن تندهش،
أنا انقلبتُ إلى أسد،
هل تعلم بماذا سأجازيك
على شرورك وبلاويك؟
سأثبُ عليك، سأنيّبك، سآكلك،
لكنْ ليس قبل أن أملأ قلبَك بالرعب
الجدير بأمثالك
وتموت ألف مرّة قبل ميتك الأخيرة.

لم يؤجّل
عملَ اليوم
إلى الغد.

أطلق زئيراً
ردّدَه الصدى نهيقاً،
وأطلق زئيراً
ردّدَه الصدى أيضاً نهيقاً.

لمسَ أسنانَه

علّه يصطدم بناب،
من دون جدوى.

وسمعَ سيّدَه يقول:
"أقسم يا هذا أنّ أنت هو أنت
ولست أحداً في الدنيا غيرك".

وأمسك بخناقه
قائلاً: "يا أحمر الحمير،
أنا أشقى في العمل وحدي
وأنت داير على حلّ شعرك؟
لأعاقبنّك العقاب الذي يليق بك".

وبعدَ فترة
من هذا اليوم الأغبر
تواطأ الوقتُ المناسب معه
لينقذه بمعجزة مرّة ثانية.

وفرَّ تحت غطاء مِنَ اللّهب
الآتي مِنَ عين الشمس الغاضبة.

ومرَّ ببئرِ السباع
وترحّم على الزير سالم
البطل الشجاع.

وبلغَ مشارف الخلاء،
وقصدَ الشجرة وشيخه تحتها،
ووقفَ خلفَه
مِنْ دون أن يفتح فمَه
أو يأتي بحركة،
وسمعه يقول
مِنْ دون أن يلتفت نحوه:
"حمداً على سلامتك يا بني".

والتفتَ ورآه
على حال تصعب
حتى على القلب الحجر.

أخفض
رأسَه
مخذولاً.

نهقه باكياً:

"أنظرْ صوبي يا شيخي،

عملتُ بنصيحتك ومشورتك،

وهاك النتيجة،

عصيّ المايسترو سيّدي

تحفر أثلاماً في أنحاء جسمي،

أتراني حقّاً أسداً؟

ولا حتى تراني حماراً،

لماذا أنت ضدّي وسيّدي ضدّي؟

ماذا جنيتُ وعلى من اعتديتُ أو افتريت؟

ألأنّي قليل وهو مؤيَّد حقّه أن يدوس عليّ"؟.

وتمهّل الشيخ قائلاً:

"لستُ، يا بني، ضدّك".

وحثّه

أن يقرأ عنواناً

على شاشة اللابتوب

صادر عن جبهة الأعداء،

ولكنه سرعان ما ذاته بادر وقرأ:

"يجب، ومِنْ كلّ سبيل، أن نمنع وحدة البرابرة".

والتفت الشيخ،
وصرخ في الجهات مجنوناً،
وصدى الصراخ يرجع دائريّاً:
" هذه مجزرة،
أيّها المجرمون هذه مجزرة، ".

**

يأتي صوتُه
مِنْ عواصف رمليّة تهبُّ،
مِنْ زغاريد فرح ينكمش،
مِنْ عِزّةِ النفس التي تنكمش،
مِنْ كأس محطّمة،
مِنْ كراهية في الإتّجاهات كافّة،
مِنْ فوّهة بركان،
مِنْ لحيةٍ تصل إلى الأرض،
مِنْ ثقبٍ في القلب يتّسع،
مِنْ حركةِ المدِّ والجزْر،
مِنْ حفيف أوراقِ الشجر،
من مَسَاكن تليقُ ببني آدم،
مِنْ صوت رخيم،

مِنْ صوت جهوري،
ومِنَ الدموع.

**

رأى حكماءَ،
بعضهم على أتن،
تتبعهم أمم
وقلّما وصلوا،
بعضهم فاتح،
وقلّما انتصروا،
ورأى الأرض المظلمة،
ورأى في السماء قمراً.

رأى عواصفَ،
أعاصيرَ، آثارَ أمم غابرة،
أمماً تئد أمماً،
مَنْ يقول ومَنْ يصمت.

رأى ما لا يُحصى:
سيوفاً، رماحاً، مدافع،
صواريخ وفراشات.

رأى
مَنْ يعقل ومَنْ يجهل،
مَنْ يعتبر ومن لا يعتبر،
الجريءَ، الرائي،
والغائب المُقفَل المُحاصَر.

**

شجرةَ تفّاح
سرقتْ تفّاحته الوحيدة.

**

نظر إلى السماء وأمعنَ النظر،
وطالما نظر إلى السماء ولكنْ لم يمعن النظر،
رأى أناساً آخرين، غاباتٍ، حيوانات،
بحيرات، أنهاراً، بحاراً،
جبالاً شاهقةً، أودية سحيقة، صحارى،
سهولاً، مروجاً، حقولاً، بيوتاً، حُبّاً، آمالاً، أحلاماً،
كان ينظر مليّاً،
وعندما لم يكن ينظر مليّاً
كان يهبط،

الحوادث تتكرَّر.

**

يمضي واثقاً،
متردِّداً ويضمحلّ.

**

الغريب،
ذاته الغريب،
ويتساءل
إذا في المكان
غرباء؟.

**

رأيته
يفكِّر على نحو منطقي
وعلى نحو غير منطقي.

**

نزل على سطحِ القمر أوّل مرّة
حين نظر مليّاً في السماء مستلقياً قريباً مِنَ النار.

**

لكلِّ مقامٍ مقال أم لكلّ مقال مقام؟
لكلّ زمان عقل أم لكلِّ عقل زمان؟
لكلّ حياة مسافة أم لكلّ مسافة حياة؟
لكلّ حيّز حركة أم لكلّ حركة حيِّز؟
دمعة في كلّ عين أم عين في كلّ دمعة؟
وجسم في كلّ رحيل أم رحيل في كلّ جسم؟.

**

واشتعلتِ الحرب الضروس،
واستبسلَ البطل أيّما استبسال،
كان يحمل على ظهره العتاد
خلل الغابات البِكر
والأودية السحيقة والممرّاتِ الضيّقة
عندَ أكتاف الجبال الشاهقة
إلى خطوط النار الأماميّة
ويرجع محمّلاً بالمرضى
والمحمومين والجرحى والقتلى.

رقّي

مِنْ شيّال إلى عتّال،
ثمّ، يا له أخرق، إلى حمّال،
ولكنْ في آن، والحق يُقال،
كان كلّما يحظى بمكتسبات.

كان يقتات ممّا ينجم في الأرض
وصارت له مائدة عامرة بأطيب وأشهى المأكولات،
كان يستحمّ وهو تحت وابل المطر
أو فيما يخوض في نهر
وصار يستحمّ بمساعدة معاون،
يُنشّفه بمحارم،
ويُعطّره بأجود العطور.

لكنّ المُحال
أن يستقرّ حال
على حال.

الحرب طالت،
وما كان عمليّة جراحيّة بسيطة
صار عمليّة خطيرة فيها حياة أو موت.

شحّتِ الموارد
بتدبير من المقاومة الوطنيّة.

أصابَه التقنين
حتى أتى على جلّ امتيازاته.

ساءتْ
أخلاقُ الجند أكثر،
رآهم بأمّ عينيه وأبيهما
كيف يفتكون بالأسرى،
كيف يغيرون على القرى
وبيوتها أشبه
بأعشاش عصافير الدوري
ويضرمون النيران فيها.

رآهم، يا ويلهم،
كيف يلقون لسمكِ البورانا
عيون أدباء ومثقّفين وشعراء.

أخيراً التفتوا صوبه،
كانوا إذا طلبوا منه أن يتقدّم

يقولون له: "تقدّم"،
وصاروا يأمرونه هازئيين: "حا"،
وكانوا إذا طلبوا منه أن يقف
يقولون له: "مكانك قف"،
وصاروا يأمرونه قرفانين "هشّ".

اشتدّ ساعد المقاومة أكثر،
ازدادت مصاعب جيش الغزاة أكثر،
طلب الجنرال جحششتاين من قيادته
مزيداً مِنَ المعدّات التكتيكيّة والإستراتيجيّة،
وامّحتْ مطارح وهلك الكثيرون.

لم يكن هدف الحرب
غير كنوز حقول الموز،
وإن زعموا تنصيب الديمقراطيّة ملِكة،
وانتصار الحضارة والمدنيّة على البربريّة والهمجيّة.

وعلى رغم الإنجازات
وكلّها وحشيّة، إباديّة ـ جرائم حرب،
فإنّ إرادة المقاومة لم تهن،
وكلّما ارتفع لها شهيد حلّ مكانه بطلان.

ووقعتْ أخيراً
عينُ حاصود الموت
على الحمّال،
وأقسمَ
بعدما أصابَه مسّ
أنّه لن يهدأ له بال
ولن يهنأ له حال
حتى يرى الحمّال قتيلاً.

كمنَ له تحت حجر
عند ممرّ ضيّق في أعلى جبل،
داسَ الحمّال على الحجر،
اختلّ توازنه،
كاد يسقط إلى حتفه
عند الصخور المسننّة،
لكنّه
توازن ونجا.

أرشدَ المقاومة
إلى حيث يرقد،

قصفته بالكاتيوشا،
امّحى كلّ مَنْ معه،
إلا هو
زحف بعيداً
من مكان الإستهداف
ونجا.

همسَ لذبابة،
معتمداً الحرب النفسيّة الأخطر،
أن تطنّ في أذن الحمّال،
مقسِماً إذا لا تفعل
أن ينزع روحَها من قلب قلبها.

فعلت،
وأوحى للحمّال
أنَّ هذا الطنين
هو هدير صاروخ موجّه،
ولا ينفجر إلاّ وهو في أم رأسه
داخلاً إليه مِنْ إحدى أذنيه.

أُصيبَ الحمّال بصعقة،

فمرّة يضحك ومرّة يبكي،
ومرّة يعوي ومرّة ينبح،
وأيضاً نجا.

وأصدرت المقاومة منشوراً
تستنكر فيه أن تكون الديمقراطيّة
تعني حقّ الذئب أن يفلت بين الحملان،
وقالت: هي اللصوصيّة.

وصعّدت مقاومتها
التي تكفلها المواثيق الدوليّة
وشرعة حقوق الإنسان.

وبدأتْ
قلاع الغزو تسقط تباعاً
حتى لم يبقَ له غير سطح مغارة،
وقيل سفارة،
حطّتْ عليه مروحيّة عسكريّة
وفرّتْ بما حملتْ،
فيما حبلٌ يتدلّى منها،
قفز إليه الحمّال

وتعنزق به.

ورجع
إلى ديرته
ناجياً بروحِه
ولكنْ
ليس بكلّ
عقلِه.

**

ظهرت
على الشاشة:
كلمة:
"يتبع".

**

أمراس وحبال
شبكة عين الكرة الأرضيّة.

**

ليس أن تصعد وإنّما كيف؟

وعلى سلّم من عظامٍ وجماجم
أم على سلّم موسيقى الحب؟.

**

العقلُ
يدركه العقلُ.

**

لا بدّ مِنْ كَسَل
لكي تطيرَ فراشات.

**

بيت ليس فيه بيت،
قلب ليس فيه قلب،
وجه ليس له وجه،
وعقل لا عقل فيه.

**

مدن
ليس فيها مدن.

**

أوطان
ليس فيها أوطان.

**

كنّا هناك،
وهم رأوا
محيطاتِ غابات.

كانت الظَهورُ محنيّة،
ولا تكاثر إلاّ بالمقدارِ الأقلّ.

محاصرون بالخطر
من كلّ حدب وصوب.

كنّا هناك
وهم رأوا.

انحسرتْ
محيطاتُ الغابات،
تقدّمت

أمواج الملح،
انقضتْ
أحقاب وأحقاب
بينَ الحجارة
والصخور المسنّنة.

وبعد كلّ حقبة
كانوا يقولون:
"كنّا في ضلالٍ".

**

أنا المحلّ
والمحلّ أنا.

**

رحلة
طويلة
ومؤسفة.

**

"لا عذر

لمَنْ أدركَ الفكرةَ
وتخلّى عنها".

**

بئسَ
مَنْ أدركَ الفكرةَ
وتخلّف.

**

بئسَ
مَنْ أدركَ الفكرةَ
وتغافل.

**

المحوَرُ مائل
والأرضُ تدور.

_ تصميم الغلاف للفنّانة مايا سالم.
لوحة الغلاف للرسّامة التشكيليّة سوزان تانننت.

Shawkimoselmani1957@gmail.com

- 2011 -